



أشكال الأيديولوجيا في رواية "الموت في وهران"
للحبيب السائح

Forms of ideology in the novel "Death in Oran"
by Habib Al-Sayeh

ط د بلعباس رشيد¹ أ د زكية يحيى²

مخبر أطلس الثقافة الشعبية الجزائرية

¹ جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، rachid.belabes@univ-alger2.dz

² جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، zakia.y@hotmail.fr

ملخص

يعتبر نص "الموت في وهران" من بين النصوص التي تناول فيها الحبيب السائح واقع الجزائر ما بعد الاستقلال، بما فيها مرحلة العشرية السوداء، ونقل لنا أهم انعكاساتها، ليقدم موقفه الخاص من تلك المراحل، وبالنتيجة أصبح هذا النص حاويا لعدة إيديولوجيات تحملها عدة شخصيات من مختلف التوجهات الفكرية. تسعى هذه الدراسة للكشف عن أشكال هذه الإيديولوجيات المبثوثة في النص الروائي محل الدراسة.

كلمات مفتاحية: الأيديولوجيا؛ الحبيب السائح؛ رواية الموت في وهران؛ الصراع؛ الأصوات السردية.

Summary:

The text "Death in Oran" is considered one of the texts in which Habib Al-Sayeh dealt with the reality of Algeria after independence, including the period of the Black Decade, and conveyed to us its most important reflections to present his own position on those stages. As a result, this text became a container of several ideologies carried by several figures of different intellectual orientations. This study seeks to reveal the forms of these ideologies spread in the novel text under study.

1. مقدمة:

سنحاول في هذه الورقة البحثية أن نتبع تمظهرات الأيدولوجيا في رواية "الموت في وهران" باعتبار أن الأيدولوجيا أضحت من أكثر المسائل التي استرعت اهتمام كثير من النقاد، وهم يدرسون النصوص الروائية انطلاقاً من التسليم بعلاقة الرواية بالواقع، وما ينطوي عليه من ظروف فكرية وأيدولوجية، فما من نص روائي إلا وتربطه بالواقع أسباب وأنساب على حد تعبير جوليا كريستيفا، ولكن ثمة تغيير يلحق هذا الواقع إذا ما أنتج داخل النص الروائي كونه عالماً متخيلاً فتختلف طبيعته عن تلك التي له في المرجع إذا علمنا أن الرواية تعد من أكثر الأجناس الأدبية انفتاحاً على مختلف النصوص وأكثرها قدرة على إعادة تشكيلها ضمن خطابها، لذا فلا عجب أن نجد في الرواية كثيراً من الأصوات والخطابات ذات الأبعاد السياسية والدينية والإيدولوجية والأدبية والفلسفية وغيرها.

ويعتبر نص "الموت في وهران" من بين أهم النصوص التي تناول فيه الحبيب السائح واقع الجزائر ما بعد الاستقلال بمختلف مراحلها وبالتالي كان مرجعها الراهن المأساوي إذ أرخت لمرحلة العنف بكل تفاصيله ونقل لنا أهم انعكاساتها مقدماً موقفه من تلك المراحل، فوقفنا على مطارحات في الأيدولوجيا والسياسة تأتت على لسان الساردين والشخصيات ومختلف العوامل الإيدولوجية عكست المآل الذي آلت إليه أوضاع الجزائريين.

من هذا المنطلق سنحاول ضمن هذه الورقة البحثية الإجابة عن الإشكالية التالية:

ماهي أشكال الأيدولوجيا التي انطوت عليها الرواية؟ وكيف تجلت؟

1- مفهوم الأيدولوجيا:

يرى العديد من الدارسين بأنّ من أهم الإشكالات التي تتصدر الأبحاث في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بصفة عامة هو تحديد المصطلحات وترجمتها، وقد لاحظنا أن مصطلح الأيدولوجيا يعد من أشد المفاهيم التباساً واستعصاء على التعريف والتحديد، بدليل أننا لم نجد لها تعريفاً جامعاً مانعاً متفقاً عليه عند جميع العلماء حتى في البيئة الغربية التي نشأ فيها قبيل انتقاله إلينا، مما أدى ذلك إلى اتساع مجاله المفهومي الذي شمل مفاهيم ودلالات مختلفة، والسبب في ذلك يعود إلى أن هذا المصطلح عرف في محاولات تحديد معناه والتي قام بها العلماء عدة تطورات عبر فترات متعاقبة مما جعل كل حقبة تعرفه تعريفاً يختلف عن تعريفه السابق تكيفاً مع ما هو سائد من أفكار وتصورات،

بالإضافة إلى كونه من المصطلحات التي تتداخل في تحديد مجاله المفهومي عدة حقول معرفية وفكرية، مما أدى إلى تعدد تعاريفه انطلاقاً من الزاوية التي نظرتها كل عالم وباحث، فجاءت تعاريفهم متماشية مع منطلقاتهم المعرفية والفكرية التي يتبنونها، ف" الأيديولوجيا لفظ لاتيني ينقسم إلى قسمين (idio) وتعني الفكر و (loger) وتعني العلم، ظهر لأول مرة كعلم يدرس الأفكار حين طرحه الفيلسوف الفرنسي ديستوتودوتراسي سنة 1796م، في مذكرة قدمها يهدف من خلالها إلى إيجاد علم يهتم بالأفكار ويدرسها دراسة تجريبية يخرج بها من دائرة التجريدية والميتافيزيقا"¹، وبذلك اعتبر هذا المفكر من السباقين لوضع تعريف للأيديولوجيا التي تدل على العلم الذي يدرس مدى صحة الأفكار من عدمها، للخروج بها من دائرة الميتافيزيقا إلى دائرة العلم المحسوس مثلما هو الحال في العلوم التجريبية والطبيعية ثم اكتسب هذا المصطلح بعد ذلك دلالات واسعة عبر مراحل زمنية نتيجة استقباله من مجتمعات ذات ثقافات متباينة وكذا انفتاحه وتداخله مع مجالات معرفية مختلفة .

في الفكر الماركسي ارتبط المصطلح بمفهوم الوعي الزائف الذي لا يتطابق مع الواقع والحقيقة في شيء، فهي مجموعة التصورات المزيفة التي تصب في مصالح طبقة اجتماعية معينة حيث يعمل الوعي على تشويه الحقائق في خدمة هذه المصالح التي غايتها تحقيق السيطرة المطلقة باعتبارها الطبقة التي تسود في المجتمع، ويعني بها الطبقة البورجوازية في صراعها مع البروليتاريا " لقد نظر ماركس إلى الأيديولوجيا على أنها طائفة من الأوهام التي تخلقها الأنا، والتي تمنعها من اكتشاف حقيقة واقعها، ولذلك لا بد لنا أن نتحدث عن تلك الحقيقة في التاريخ الواقعي وليس في الوعي"².

وقد عرف المفهوم الماركسي للأيديولوجيا تطورات مهمة إذ تلاشت فيما بعد فكرة الوعي الزائف فاكتسب صبغة إيجابية وصار له دور كبير في الحياة البشرية، وذلك على يد ثلة من المفكرين البارزين الذين ساهموا في إثراء ولعل أبرزهم فلاديمير لينين الذي جاء بتصوير مغاير لما كان عليه من قبل، فقد عمل على توسيع نطاق مفهوم هذا المصطلح وتجاوز المحتوى السلبي " فمما أثر عنه أنه كان يصرح بأنه لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية، وبناء عليه، فقد وصف الماركسية بأنها أيديولوجيا لاعتقاده بأن الماركسية لم تكن نظرية للمعرفة حتى ولو اعتبرت بأنها أداة لتغيير العالم، وبالتالي فقد ميزها عن النظرية، وأن

النظرية التي استحالّت أيديولوجيا هي الوعي، وقد استحالّت إرادة الحال أنّ الثورة ليست من صنع الوعي وحده وإنّما من صنع الإرادة والمال أيضا، وهذه مسألة يؤكّدها لينين في أكثر من مسألة"³.

أما أنطونيو غرامشي فهو الآخر ضد مفهوم الوعي الزائف للأيديولوجيا، وقد انصب اهتمامه على الوظيفة الأساسية التي تؤديها في المجتمع والتي تتجلى من خلال المظاهر المادية التي تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني، كالكنيسة والمدرسة والصحافة وغير ذلك، فالأيديولوجيا بحسبه عبارة عن رؤية للعالم، هي بمثابة عقيدة تحفز على العمل الذي يتجلى في كل تجليات الحياة الفردية والجماعية (الفنون، الأنشطة الاقتصادية، الدين، الفلكلور) فمن المقومات الأساسية التي يقوم عليها أي مجتمع هو ضمان الهيمنة الأيديولوجية إلى جانب المقومات الأخرى⁴.

وإذا ما ولينا وجهنا شطر الفكر العربي، وجدنا تباينا بارزا بين المفكرين العرب وهم يقومون بمحاولاتهم التعريفية وفي هذا السياق، يميز عبد الله العروي في مؤلفه " مفهوم الأيديولوجيا " بين ثلاث معان كبرى للمفهوم، تتجلى من خلال المجالات التالية:

- مجال الطرح السياسي، حيث تعني الأيديولوجيا كل تفكير خادع أو تضليلي، فالأيديولوجيا هنا تتخذ شكل قناع.

- مجال الاجتماعيات، حيث تعرف الأيديولوجيا باعتبارها حصيلة الأفكار والقيم والمثل والتصورات التي تتبناها جماعة ما وهي التي تحدد لها رؤيتها للواقع الاجتماعي والتاريخي، فالأيديولوجيا هنا تعني رؤية كونية للعالم.

- مجال الإستمولوجيا، فالأيديولوجيا ليست سوى المعرفة الظاهرية السطحية في حين أنّ العلم هو المعرفة الموضوعية العميقة بكنه الأشياء⁵.

ويركز عمار بلحسن على التأثير المتبادل بين البنية التحتية والبنية الفوقية لأيّ مجتمع من المجتمعات ولدور الإنسان في صياغة الأفكار والأيديولوجيات التي بها يتميز عن غيره، فالأيديولوجيا " نسق من التصورات يحكم الفكر والممارسة ويشكل مستوى من مستويات التشكيلة الاجتماعية، فهناك تأثير متبادل ومتداخل ثلاثي العلاقات بين البنية التحتية والبنىات الحقوقية والسياسية والبنية الأيديولوجية لأيّ مجتمع، وتتضمن الأيديولوجيا الأفكار السياسية والحقوقية والدينية والأخلاقية والجمالية التي تتجلى في

أشكال تصورات متعددة للعالم، ولدور الإنسان فيها، وهذه التصورات وفيها يتوافق ويتناقض الإنسان مع جماعته⁶.

وإلى جانب هذه الآراء، نجد مجدي وهبة يقدم أوضح التعريفات لهذا المصطلح، والذي أوردته دائرة المعارف البريطانية من خلال مقاله "أية أيديولوجيا؟" وبحسبها فالأيديولوجيا عبارة عن "شكل من أشكال الفلسفة السياسية أو الاجتماعية تظهر فيها العناصر التطبيقية بالأهمية نفسها التي تظهر فيها العناصر النظرية، فهي إذن منظومة فكرية تدعو إلى تفسير الدنيا وإلى تغييرها في آن واحد"⁷

يتضح من خلال ما قدمه هؤلاء الباحثون، تنوع مفاهيم الأيديولوجيا بتنوع الاتجاهات الفكرية والمراحل التاريخية التي مرت بها، وعدم اتفاقهم على تحديد معين، وأن ما قدمه الفلاسفة الذين جاؤوا بعد ماركس من أعمال قد خلص المصطلح من فكرة الوعي الزائف، فأصبحت الأيديولوجيا قوة محركة وتمتع بدور وظيفي في المجتمع، ويتفق مع هذا الطرح غالبية المفكرين العرب.

أما عن محاولتنا التعريفية فنرى بأنّ الأيديولوجيا عبارة عن نسق من الأفكار والمعتقدات والرؤى، التي ينطلق منها الفرد ومختلف التيارات الفكرية في مجتمع من المجتمعات، لتفسير العالم وتكييفه، وفق هذا المنظور، يتجلى ذلك من خلال السلوك والنشاط الإنساني ومحاولة فرضه وتوظيفه بهدف تبرير السيطرة على هذا المجتمع وإقصاء الأفكار والقوى المعارضة.

2- علاقة الرواية بالأيديولوجيا:

يؤكد النقاد على أنّ ثمة علاقة متبادلة بين النص الروائي والأيديولوجيا استوجبها طبيعة الأدب الذي يعد شكلا للبنية الفوقية التي هي انعكاس للبنية التحتية، ذلك أنّ الأدب نشاط اجتماعي يوضح طبيعة علاقة الإنسان مع الطبيعة والكون أو علاقته مع المجتمع والطبقات الاجتماعية فيه، وبما أنّ الرواية جنس أدبي يعبر عن المجتمع، فإنّها تسهم في البناء الفكري كما تسلط الضوء على التناقضات الداخلية فيه مع أنّه قد يبدو متماسكا في الظاهر⁸.

يؤدي الكاتب دورا كبيرا في بناء الأيديولوجيا في الرواية عن طريق اللغة التي تعد من أهم العناصر المستخدمة في التعبير عن الأيديولوجيا التي يدعوا إليها الكاتب، يصوغها

بطريقة فنية في بناء نص أدبي محكم السبك للإشارة إلى رؤية العالم التي يتبناها اتجاه مجمل الأيديولوجيات المتواجدة في المجتمع، فأوضحت الرواية كتابة تنتظم الأيديولوجيا التي ما إن ولجت النص الأدبي تتحول إلى بنية فنية، وبذلك يصبح النص من عناصر هذا الواقع المعبر عنه.

يرى النقاد بأنه ما من نص إلا وهو متلبس بأديولوجيا تقدم بأدوات فنية تنقلتها من نطاق الواقع إلى نطاق البناء الفني الذي يشكل عالما موازيا مقابلا لما هو في الواقع، ويقوم الناقد بمهمة الكشف عن هذه الآليات المعتمدة في ذلك والتي يتوصل من خلالها إلى تحديد ماهية الأيديولوجية التي ينطوي عليها النص الأدبي، الذي لا يملك مقومات انسجامه إذا ما اكتفى بالانغلاق على ذاته، فلا بد من ارتباطه بإحالات خارجية التي تشكل جوهر العملية الإبداعية وبها يتحدد التوجه الأيديولوجي للكاتب.

يحتوي النص الأدبي أيديولوجيات متضادة تجسد التناقضات الحاصلة في الواقع تحملها شخصيات روائية، يخلقها الأديب وفقا لشروط العملية الإبداعية، وتتجلى من خلال تصرفاتهم ويكون موقف الكاتب حياديا حتى لا يسري الخلل إلى العمل الفني، ذلك أن تجلي الأيديولوجيا في الرواية " يتم عن طريق خلق أصوات متعددة في عمل روائي واحد، كل منه يمثل شخصية أو عدد من الشخصيات تعكس نفسها بنفسها وتعبّر عن موقفها الخاص، وتدخل في صراع ذي طابع حوار (dialogique) فكري بالأساس مع شخصيات أخرى ويكون موقف الكاتب حياديا، لأنه لا يتدخل إطلاقا لجانب صوت دون لآخر".⁹

إنّ الاختلاف بين الشخصيات في العمل الروائي ناتج عن الصراع بين الأيديولوجيات والطبقات التي تنتهي إليها، إذ تسعى كل طبقة إلى تحديد رؤيتها للعالم انطلاقا من خلفياتها الفكرية وبما يحقق مصالحها ويضمن سيطرتها على الطبقات الأخرى ويجعلها تؤثر في وعيها الإنساني والفكري والوجداني من أجل إخضاعها.

إن النص الأدبي حسب بير زيمبا وباختين يجري في مجرى الواقع الاجتماعي، وهناك اختلاف بين الناقدين في مسألة حيادية المؤلف اتجاه الإيديولوجيات المتصارعة في الرواية الديالوجية (الحوارية)، ويرى حميد لحميداني أن الشخصيات الحاملة لمختلف الأيديولوجيات لا تمثل بالضرورة أيديولوجية الكاتب، ذلك " أن كتاب الرواية غالبا ما يقومون بعرض هذه الأيديولوجيات والمواجهة بينها من أجل أن يقولوا ضمينا شيئا آخر ربما يكون مخالفا لمجموع تلك الأيديولوجيات نفسها".¹⁰

وهكذا تتجلى علاقة الرواية بالأيديولوجيا، فأصبحت تشكل جزءا من عناصرها البنائية، وتتجلى الأيديولوجيا في الرواية أكثر من الأجناس الأدبية الأخرى، لأنها تمنح الكاتب حرية في التعبير عن مختلف القضايا ونقدها، فلاتقتصر الرواية على عكس الواقع ومحاكاته، وإنما تورط ذاتها في الصراع الأيديولوجي الدائر في المجتمع وتقدم موقفا منه، فالمبدع لا ينطلق من فراغ ولا يكون بمعزل عن المؤثرات الخارجية المؤثرة في إنتاج نصوصه الإبداعية، فلولا هذه المؤثرات لما وجد هناك أدب، وبالتالي لا يمكن للرواية أن تنفصل عن الأيديولوجيا، وبما أنّ الروائي يكتب عن وعي بالصراع القائم في المجتمع، فلا يمكن أن يتخذ موقفا منه إلا من خلال نقله وإعادة إنتاجه في عمله الأدبي فتثار عندئذ إشكالية الأيديولوجيا في الرواية من جهة والرواية كأيديولوجيا من جهة أخرى.

3- "الموت في وهران" وتجليات الأيديولوجيا:

يذهب كثير من النقاد والدارسين إلى التأكيد على أن الكتابة الروائية الجزائرية العربية تتشكل من مراجع مختلفة تستمد منها موضوعاتها قصد تجديد أشكال خطاها والانفتاح على مختلف الإشكالات السياسية والاجتماعية والأيديولوجية التي عايشها المجتمع الجزائري في مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث شهدت البلاد تحولات عميقة في مختلف بنياتها، تمثلت في تلك الأحداث السياسية والتغيرات الاقتصادية التي مرت بها الجزائر وأثرت كثيرا على مسار بناء الدولة واستقرار الوضع الاجتماعي الذي عرف تدهورا خطيرا على جميع الأصعدة، بفعل ظهور صراعات أيديولوجية مختلفة التوجهات ومرتبطة في غالبيتها بمشاريع أممية، حيث تشكل مشروع السلطة من رحم هذه الصراعات التي كادت أن تعصف بالبلاد.

وهكذا، يتضح أنّ القضايا السياسية والاجتماعية والدينية والتاريخية كانت في صدارة اهتمامات الكاتب، كما عكستها كتاباتهم التي بدأت تتفاعل مع محيط داخلي وخارجي متغير بأدوات فنية متفاوتة، وبذلك تجاوزت الرواية ظاهرة تجسيد الواقع إلى اتخاذ موقف منه، حيث يبرز جليا جانب من مهام الأديب باعتباره يحمل رسالة قصد التأثير على المتلقي وحمله على الانخراط في مشروعه الأيديولوجي"، ومثل هذا الموقف لا يمكن أن يتشكل إلا بإعادة إنتاج ثنائية الواقعي والأيديولوجي في النص¹¹.

وقد كانت الرواية الجزائرية أشد التصاقا بالحياة وبعمق المجتمع الجزائري ومواكبة لمختلف التغيرات الحاصلة فيه، يدل على ذلك الإنتاج الروائي الضخم الذي يعبر عن تعقد وتأزم هذا الواقع وتشابكه، فلم يعد للشعر أو القصة قدرة على استيعابه بكل تفصيلاته إلا الرواية نظرا لمميزاتها الفنية ولسعته الاستيعابية التي تشتمل مختلف المضامين، وقد تأثرت بالواقع المزري الذي آل إليه الوضع في الجزائر خاصة في مرحلة العشرية السوداء الذي عرف أحداثا مأساوية أدت إلى الاقتتال الأعى ودخول البلاد في دوامة الفوضى والتقهقر الحضاري، فعايش الكتاب هذه المراحل ونقلوا لنا انعكاساتها وتداعياتها بدرجات متباينة من الناحية الفنية والمواقف الأيديولوجية.

وتعتبر مرحلة السبعينيات نقطة الانطلاق الحقيقية للرواية الفنية الجزائرية التي تميزت إصداراتها بالنزعة الأيديولوجية الاشتراكية المسيرة لتوجه الحزب الواحد، بدءا من ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة وأعمال الطاهر وطار وواسيني الأعرج والحبيب السائح اللاحقة، حملت في مضامينها التأكيد على صواب اختيار النهج الاشتراكي الذي انتهجته الدولة، للنهوض بالبلاد والبديل للبرالية المتوحشة التي تعتبر استمرارية للسياسة الاستعمارية التي أنهكت كاهل الجزائريين لعقود زمنية طويلة، من منطلق رؤية أيديولوجية تبناها هؤلاء الكتاب، تقضي بضرورة أن تعمل نصوصهم الروائية في مرحلة بناء الدولة على تأييد توجه النظام الحاكم لحل تناقضات المجتمع، ولذلك فقد صوروا مظاهر الصراع الأيديولوجي بين الاشتراكية والرأسمالية، وأبرزوا فضائل النظام الاشتراكي وانعكاساته الإيجابية على الفرد والمجتمع وبينوا مساوئ الرأسمالية وخطورتها ومنه الانتصار لقناعتهم الفكرية المساندة للنظام.

ومع بروز التعددية الحزبية التي أفرزتها أحداث أكتوبر 1988 وما نجم عنها من أزمة سياسية أدت إلى وقف المسار الانتخابي ودخول البلاد في متاهات العنف الدموي في مرحلة التسعينيات، كان تأثيرها كبيرا على وعي الكتاب، إذ صار كل واحد يكتب وفق قناعته الخاصة ورؤيته للعالم، فتعددت بذلك المضامين والمواقف ولم يعد تأييد النظام في نهجه باقيا، فاشتهر الحبيب السائح بطرقه لمواضيع قلّ من يطرقها بجرأة كبيرة، تناول واقع البلاد المليء بالصراعات والفساد والاستغلال والتخلف على جميع الأصعدة نتيجة سياسة النظام الذي تخلى عن النهج الاشتراكي ودخوله في تطبيق النهج الرأسمالي المتوحش، حيث عبر الروائي عن رفضه لهذا الواقع الجديد وإدانته ودعا إلى تغيير البنيات الاجتماعية

المستجدة، لأنه أدرك أنه باستمراريتها لايفيد البلاد في شيء بل تسير بها إلى أسوأ النتائج وذلك عن طريق إبراز سمات هذا الواقع الراهن وصياغته صياغة فنية جديدة .

تطرح رواية "الموت في وهران" عدة مسائل ذات صلة بالمجتمع الجزائري في مرحلة حساسة من تاريخه الحديث ولا سيما فترة العشرية السوداء ، أظهر فيها الحبيب السائح رفضه لسياسة التخلي عن المشروع الاشتراكي الذي يضمن برأيه تحقيق العدالة والمساواة وبالتمرد عليه أصبح الشعب يعيش في بؤس وظلم وحرمان، مما أدى إلى الصدام المسلح وكثرت الجرائم ومظاهر الفساد، بفعل تخلي أبناءه عن أخلاقهم التي كانوا عليها زمن الاستعمار من التآخي والتراحم والاتحاد، فلا شيء أصبح ينبي بمستقبل أفضل نتيجة عدم الشعور بالمسؤولية وبثقل الأمانة الملقاة على عاتق كل فرد منهم وتغير الذهنيات، وعليه سنحاول إبراز مظاهر الأيديولوجيا المتجلية في الرواية.

3-1 دلالة العنوان:

يعد العنوان عتبة رئيسية لفهم مضمون العمل الأدبي وهناك علاقة وطيدة بين محتوى النص وعنوانه، لذلك يجتهد المبدعون في وضع العناوين المناسبة لأعمالهم تسهيلا لفهمها من قبل المتلقي وهي من أصعب المراحل التي تمر بها الكتابة الإبداعية، فلا غرابة أن نسمع حكايات كثيرة عن كتاب كبار يستغرقون أوقانا طويلة في التفكير لوضع عنوان مناسب لإبداعاتهم، وإذا تأملنا في العنوان الذي تحمله الرواية وجدنا أنه يتركب من ثلاث كلمات وهي: الموت، في، وهران، وإذا أردنا إعراب الجملة، قلنا إنّ الموت تعرب خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو الموت)، في: حرف جر، أما وهران فهي اسم مجرور ب في، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف، وتدل كلمة الموت في كلام العرب على السكون وعدم الحركة " يقال: ماتت الريح أي سكنت، قال: والموت يقع على أنواع بحسب أنواع الحياة: فمنها بإزراء القوة النائمة الموجودة في الحيوان والنبات، كقوله تعالى: يحيي الأرض بعد موتها، سورة الحديد، الآية 17، ومنها زوال القوة الحسية، كقوله تعالى: يا ليتني مت قبل هذا، سورة مريم، الآية 23، ومنها زوال القوة العاقلة وهي الجهالة، كقوله تعالى: أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس، سورة الأنعام، الآية 122، ومنها الحزن والخوف المكدر للحياة، كقوله تعالى: ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت، سورة إبراهيم، الآية 17، ومنها المنام، كقوله تعالى: والتي لم تمت في منامها، سورة الزمر، الآية 42،

وقد قيل الموت المنام الخفيف، والموت: النوم الثقيل، وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة، كال فقر والذل والسؤال، والهزم والمعصية وغير ذلك، ومنه الحديث: أول من مات إبليس لأنّه أول من عصى"¹².

وقد ورد ذكر الموت في القرآن الكريم في كثير من المواضع والآيات، وجعلها الله - سبحانه وتعالى- حكما يصيب جميع الكائنات بما فيها الانسان ، فلا يبقى إلا وجه الله ذو الجلال والإكرام، فالموت كأس وكل الناس سيشرّبون منه ولا استثناء لأحد مهما كانت منزلته في هذه الحياة، وجعل الله تعالى هذا الأمر خافيا لا يعلمه أحد من البشر وهو من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وقد كلف ملك الموت بقبض أرواح العباد لتنتقل بذلك الروح من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة لتنال جزاءها، إما بالثواب أو العقاب بناء على ما قدمته من أعمال في حياتها الدنيا، قال تعالى: "كل نفس ذائقة الموت وإئّما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز" آل عمران، الآية 56.

وقد شكلت تيمة الموت هاجسا من هواجس الكتابة لدى الحبيب السائح، لذلك نجدها كثيرة الحضور في معظم رواياته، وفي هذه الرواية نجده يستخدمها مقتزنة بالجو العام المتردي للبلاد الذي صار يطبع كل أرجاءه ومنها مدينة وهران، التي أصبح الموت موجودا بداخلها بفعل ما تعرضت له من هزات وعنف وتفسخ هوياتي وانحلال خلقي في قيمها، فخيم الحزن على أرجائها لدرجة أنّ العيش فيها صار غير ممكن، لانعدام حيويتها وجاذبيتها التي كانت تتمتع بها من قبل، فالعنوان يحمل دلالات مكثفة تشير إلى البكاء على حال البلاد عموما، وحاضر وهران نتيجة تغير الوضع فيها من الحسن إلى الأسوأ، فلا شيء عاد يبعث على الارتياح والحركة والتغيير نحو الأفضل إذا ما بقيت الأمور على هذا الحال، وقد تم استخدام هذه المفردة من طرف الروائي للتعبير عن رفضه لهذا الحاضر الذي هو تحصيل حاصل للأثار السلبية الناتجة عن التخلي عن المبدأ الاشتراكي للدولة الجزائرية، الذي عبر عنه الميثاق الوطني الصادر عام 1976 بأنّه الاختيار الذي لا رجعة فيه.

2-3 الأيديولوجية الاستعمارية:

شكلت الثورة التحريرية الجزائرية المرجعية الفنية والأيديولوجية للروائيين الجزائريين على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم الفكرية، يدل على ذلك الإنتاج الروائي المكثف الذي عرفته الساحة الأدبية الجزائرية التي لم تخل من الإشارة إلى أيام الاستعمار ومحكميات الثورة والواقع الاجتماعي في تلك الفترة المزرية من تاريخ الجزائر الحديث، حيث

يكاد يجمع بينها رابط واحد وهو الإشارة إلى سياسة الاستعمار الفرنسي الجهنمية التي مارسها طوال تواجده بالجزائر من أجل فرض هيمنته، حيث عمل الروائيون على وصف المعارك وما حدث فيها من أهوال فظيعة للتدليل على أن الأيديولوجية الاستعمارية التي انبنت سياستها على العنف واستخدام الوسائل الحربية الفتاكة والمتطورة قصد إبادة الجزائريين عن بكرة أبيهم، كما ارتبطت بالتخريب وسلب الأراضي من أصحابها ونهج سياسة التعذيب والاعتقال وتشيتت وحدثهم وفرض سياسة التجهيل والتفريق بين الجزائريين، والتخلف وغير ذلك من السياسات الخطيرة التي سببت أضرارا جسيمة لا تزال تداعياتها قائمة إلى يومنا هذا.

وقد اعتمد الحبيب السائح في هذه الرواية على السرد الاستذكاري بالعودة إلى الوراء من خلال عرض الشخصية الرئيسية (هوازي) لماضيها، وماتعلق بوضعها المرتبط بالوضع المؤلم الذي عانى منه، بالإضافة إلى طغيان العامية على حساب اللغة الفصحى قصد مخاطبة العامة من الناس، وهذا استجابة لمقتضيات الضرورة الفنية التي تقتضيها طبيعة مثل هذه المواضيع.

وعليه، فقد تجلت أيديولوجيا الاستعمار من خلال إقدام الجيش الفرنسي أثناء الثورة التحريرية على تجنيد بعض الجزائريين في صفوفه، وهم من يطلق عليهم تسمية الحركي لضرب الجزائريين بعضهم ببعض وبقصد التدرع بهم، وهو ما تجسد في شخص جد "هوازي" من والده الملقب بـ "خنفارو"، يقول السارد: "خنفارو؟... هكذا يلقبونه... كان يتجنب أن يرى وجهه في المرأة. لا يحب أن يطيل غيره النظر إليه. عذب لذلك السبب. قتل "جدي" من أمي غداة وقف إطلاق النار هو من أصدر أمره بإلقاء القبض على جدي لأبي بعد أن تخلى عنه قائد الثكنة الفرنسية مثل بقية الحركي، الذين لم يستطيعوا الفرار إلى الموانئ نحو فرنسا، ولم يتدخل لما كان أحد جنود جيش التحرير اقتاده للانتقام منه على اغتصابه لزوجته وقتله لأمه وأبيه ونهبه لبيتته في الريف، فأحى إلى درجة الغليان قدرا معدنيا مملوءا زيت محركات ثم بحبل دلاه فيه على رأس من فرع صنوبرة مكبل الرجلين واليدين إلى ظهره؟"¹³

فقد لعب الحركي الذين جندهم الاستعمار دورا كبيرا في إرساء سياسته، فقد كانوا عيوننا قوية يتجسسون على المناضلين ويشتبكون مع الثوار ولا يترددون في خدمة الاستعمار

في كل صغيرة أو كبيرة، مما انعكس دورهم سلبيًا على الثورة وتسببوا في إطالة أمد الاستعمار، كما تسببوا في قتل الآلاف من إخوانهم، لذلك كانت نقمة المجاهدين عليهم كبيرة غداة وقف إطلاق النار بأن اقتصر منهم بأبشع أنواع الموت والعقاب مثلما ورد في هذا المشهد السردى.

3-3 الأيديولوجيا الوطنية:

يتبنى هذا الاتجاه الأيديولوجى المجاهدون الذين يؤمنون بالحرية ويرفضون سياسة الاستعمار ومحاربتها بالنفس والنفيس، وعدم انحرافهم عن مسار الثورة ومبادئها المعلنة أثناء الثورة المسلحة، لذلك تجدهم يعارضون تولية الذين كانوا خونة بالأمس أعلى المناصب والمسؤوليات في جزائر الاستقلال، وينادون بضرورة تطبيق بنود بيان أول نوفمبر لتحقيق العدالة والمساواة بين جميع الجزائريين ومحاربة المفسدين.

وعرضت الرواية صورا تبرز شجاعتهم في ميدان القتال ومدى التضحيات التي قدموها فداء لوطنهم وللتحرر من العبودية والاسترقاق، وتجلى ذلك في المشهد السردى الذي يروي فيه مصطفى صديق العربى بوذراع للهواري طريقة قتله للضابط الفرنسى المجرم الذي صارت تاريخه الدموي يخشاه جميع الناس، وذلك تنفيذا لأوامر الجبهة القاضية باسترجاع ملف المتعاونين التي كانت بحوزته وتسليمها إلى العربى بوذراع، يقول مصطفى: "لم يكن غيري قادرا على الوصول إليه..." "كنت أرصد له حركة بعض الأشخاص ممن يشتبه في انتماءهم للجبهة، كان سي بوعتروس مسؤول تنظيمها السري في المدينة قبل استشهاده، كيف لي طريقة نقلها، فهو الذي أوكّل إلي مهمة الاقتراب من الضابط أكثر إلى أن صار من وقت لأخريستدعيني إلى بيته في غياب زوجته..." من جيب معطفي المعلق سحبت المسدس بكاظم صوت كان يمكن أن أطلق عليه في القفا..." قوة خارقة سيطرة على أن أرى وجه الكاتبان، وهو ينظر إلى موته في قبضتي..." سألني ماذا أطلب؟ جاوبته أنني أريد ملف المتعاونين، فرد علي بأني لا أطلب شيئا كثيرا... واستدار إلى مكتبه، حذرته وببرودة في الصوت وشدة في الملامح قبل أن يوصل مسدسه إلى أعلى فخذه، ضغطت الزناد نحو الرقبة والصدر والبطن¹⁴، كما صورت الرواية موقف المجاهدين الراض لتولي الخونة المسؤولية وتسيير البلاد، لأنهم يرون في ذلك أن البلاد لم تتحرر بعد، وهو بمثابة إهانة كبيرة لهم وللتضحيات التي بذلوها في سبيل حرية الجزائر واستقلالها، وتجلى ذلك من خلال موقف المجاهد "العربى بوذراع" الراض لتولي الحركى "بوذن" مسؤولية حزب جبهة التحرير الوطنى "فإن جدي، كما اخبرتي حلومة... كان دهس كل ما صادف في طريقه، بحثنا عن

سلاحه الناري، صائحا مزبدا مهددا جدتي بنفسها: "سأخنقك أنت؟ أين خبأت السلاح؟ البيوع الكلب؟ سأقتله. أكل من كبده. أظهر تاريخي منه... بعد أن كان مرميا أمام مقر الحزب فتوقف وبصق في قدمه، لما رأى في مدخله مسؤوله الأول-بوذن-كنية عرف بها لأذنه التي قطعتها له جبهة التحرير تحذيرا أخيرا له على ترده على مكتب كابتان لاصاص" الفرقة الإدارية المتخصصة في الحرب النفسية، يخرج بالكوستيمو الكرافتة ونيشان صغير بألوان العلم الوطني عند الجيب الأعلى"¹⁵.

في مقابل ذلك، لم يظفر هؤلاء المجاهدين كما عرضته الرواية بمناصب عليا تليق بمقامهم وفي مستوى تضحياتهم سوى إشرافهم على مؤسسات بسيطة، فهذا مصطفى لم يحصل حتى على رخصة المجاهد لاستخدامها في نشاط تجاري، وفضل الهجرة إلى فرنسا للبحث عن مصدر للرزق، وهو ما أكدته لصديقه "هوازي" بنفسه "كنت أكثر عنادا من جدك. هزمته. لأنني رفضت أن أمضي على ورقة إثبات عضويتي في منظمة الفدائيين لاستخراج فيش كومينال" وأشار إلي: "سي العربي؟ عندي عملي في فرنسا. الله يخلص على الجبهة وعليك وعلى السيدة العارم"¹⁶.

وعليه، يمكن القول أن أصحاب هذا الاتجاه الأيديولوجي الوطني يقدمون المصلحة العليا للبلاد على حساب مصالحهم الخاصة، وهو المبدأ الأساسي الذي دافعوا من أجله حتى يكون البلد حرا عزيزا ويحوي جميع أبنائه بدون استثناء، وعلى الجميع المساهمة في بنائه وتطوره والتصدي لكل من يحاول المساس بأمنه واستقراره.

4-3 الأيديولوجيا الاشتراكية:

قامت الثورة التحريرية من أجل التخلص من آثار الظلم والاستغلال الذي فرضه النظام الاستعماري المتوحش بقوة السلاح والذي حول حياة الجزائريين إلى جحيم لا يطاق، جعلهم يعيشون في مرتبة أدنى من الفقر ويعانون من كل أشكال القهر والحرمان والتخلف والتمييز العنصري المبني على الأولوية المطلقة للأوروبيين في الحقوق والامتيازات، وتطلعت إلى بناء دولة تقوم على دعائم العدل الاجتماعي وعلى شعارات تصب في خانة إيصال الخير وتحقيق السعادة والرفاهية للجميع والقضاء على التمييز الطبقي بكل أشكاله لإرساء واقع جديد يختلف كل الاختلاف عن الواقع القديم، وعلى أساس أن الحياة هي مادة الأدب بكل ما فيها من تفاصيل ونتيجة للظروف السياسية والاجتماعية التي عرفها الواقع الجزائري بعد

الاستقلال، قد "دفعت الكتاب والنقاد إلى الاقتراب أكثر من الواقعية الاشتراكية والاستفادة من رؤيتها، رغبة منهم في مواكبة العصر، وإسهاما في الكفاح الوطني من أجل تعديل الواقع وتغييره"¹⁷.

وتبدوا الأيديولوجية الاشتراكية في الرواية من خلال الإشارة إلى الرئيس هواري بومدين عبر اختيار الروائي اسم "هواري" لبطل روايته الذي تميز عهده بالتطبيق الواسع للأفكار الاشتراكية، وإعطائها الصبغة القانونية الملزمة التي تجسدت من خلال التسيير الاشتراكي للمؤسسات، واستغلال الأراضي الفلاحية، وتأمين المناجم والبترول وتسييرها إداريا، وإقرار مجانية التعليم، والصحة، وبناء القرى الفلاحية في مجال السكن، والقضاء على الهيمنة الطبقية، حيث شكل كل ذلك حياة سعيدة لجميع الجزائريين بفضل هذه السياسة الحكيمة، إلا أن الوضع لم يدم طويلا نتيجة حالة الضياع التي أصبح عليها المجتمع الجزائري بفعل التحولات السياسية التي شهدتها وما أنجر عنها من آثار سلبية فيما بعد، فما زلنا نتحسر على ذلك العهد الذهبي بالمقارنة مع هذا الواقع الجديد الذي تم فيه التخلي عن الاشتراكية والشروع في تطبيق النظام الرأسمالي الذي تولد عنه كل الشرور، فكأنني بالكاتب يريد القول بأن الخروج من هذا المأزق الذي وقعت فيه الجزائر لن يتحقق إلا بالعودة إلى تطبيق الاشتراكية التي تضمن العدالة والمساواة بين كل الجزائريين، وتقضي على أسباب التناحر والاقتتال المتولدة في عمومها من أسباب اقتصادية.

3-5 الأيديولوجيا الدينية:

لقد وجد الحبيب السائح في العشرية السوداء التي مرت بها الجزائر مادة دسمة للكتابة الروائية، إذ حاز التيار الديني المتطرف مكانة هامة من الاهتمام والمعالجة بحيث استطاع الكاتب مساءلة ظاهرة العنف، بتوظيفه شخصية المتطرف برؤيا واضحة وبلغية روائية تحاكي فكر الجماعات المتطرفة من خلال ألفاظ استقاها الروائي من الواقع المعيش، والتي بدت في مجملها شخصية تميل إلى العنف وتتسم بالتخلف ومعاداة كل من يعارض رؤيتها للعالم.

وقد تجلت هذه الأيديولوجيا من خلال السياسة التي تبناها أتباع هذا التيار التي أخذت صورا متعددة، تقوم على رفض الفكر المعارض الذي يتبناه الآخر ومحاولة فرض فكرهم عليه ورميه بالزندقة وينادي بضرورة تغيير المنكر بالقوة، مثلما يتجلى في حديث أستاذ الرياضيات المدعو "حذيفة" عن تلميذاته حول لباسهن غير المحتشم والذي يعتبره

تمردا على أوامر الدين وموجبا للكفر ودخول جهنم" كنت أحس ذلك الأستاذ يحمل في صدره نقمة العالم على التلميذات اللاتي يخالفن إرشاداته عن التحجب والكف عن الإغواء بالماكياج: "الشيطان يأمر بالفسق؟ قاذفا حمما من لسانه البني اللون من أثر مسواك النساء: "أنتن حطب جهنم" في وجه تلاميذ مثلي لم يعودوا له بكتيبات، عن ظلمه ما بعد الموت وأسئلة القبر وعذاب جهنم، تباع على أرصفة سوق المدينة الجديدة، يراقبها أحيانا عند بعضها. وكان يقتطع من حصة الصباح خمس دقائق أحيانا أكثر منها ليذكرنا بمنكر آخر وجب تغييره باليد"¹⁸.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل تجاوز أتباع هذا الفكر المنحرف عن مبادئ ديننا الحنيف لتمتد يده الأثمة إلى قتل المواطنين الأبرياء، وهذا ما جسده شخصية "معمرا الصفصاف" والد "هواري" الذي أقدم على تصفية مدير المدرسة بدون جرم ارتكبه سوى لأنه يخالف فكرهم وتطرفهم" يقينا أن أساسات أبي، التي انتقدتها عمدة إيمانه في هذا الوجود، كانت هشة جدا، انهارت تماما، عند لحظة تصويبه مسدسه إلى رأس المدير، وأنّ بدنه كان تصدع وهو يرى ضحيته يهوي جميلا على سؤال: "لماذا تقتلني؟. وأنّ روحه أقعدته حيرة السؤال عند رأس القتل. وأنه تلاشى بتلقيه زخة رشاش في الصدر، لحظة الاشتباك مع فرقة الروجي، والد بخته الشرقي"¹⁹.

ومما تقدم، نخلص إلى أنّ الرواية حملت في متنها خطابا نقديا عالجا ظاهرة الإرهاب التي ضربت المجتمع الجزائري في فترة التسعينيات من القرن الماضي، حيث رصد لنا الروائي أشكال التشنت والضياح الناتجة عنها وأماط اللثام عن شخصية المتطرف وأيديولوجيته المتمثلة في استغلال الدين لخدمة مصالحه السياسية ولتغليب الرأي العام وحمله على تبني توجهاته.

6-3 أيديولوجية السلطة:

بدأت أيديولوجية السلطة كما صورها الروائي أكثر حزما في التعامل مع الجماعات المسلحة للمحافظة على مركزها وكسب تأييد الشعب لها، من خلال تدخلها عند استفحال خطر هذه الجماعات التي صار لها شوكة حيث استطاعت أن تفرض منطقتها على السلطة وعلى الشعب في كثير من الأوقات وبمختلف الطرق والأشكال.

ويتجلى هذا الحزم من خلال قيامها بالتدخل والقضاء على الإرهابي "معروف الصفصاف" والد "هواوي" الذي قتل العديد من الأبرياء وذلك على يد مفتش الشرطة "الروحي"، كما قامت بسجن هواوي بتهمة قتله لـ "حسنية"، إلا أن السلطة بدت متراجعة في هذا الحزم، فيما يتعلق بمحاربة الفساد والمفسدين أصحاب الأموال الضخمة، الذين تحصلوا عليها بطرق غير مشروعة، كما بدت غير آبهة بمشاكل المواطنين وبمحاربة الفساد الأخلاقي "أحببت فقط أن أطلعك على جانب واحد من عمليات تبييض المال الوسخ." كان أتيا من غنائم الجماعات المسلحة ومن بارونات التهريب على الحدود ومن ابتزاز مسؤولين في الأمن ومن اختلاسات الموظفين الكبار ومن رشى مسؤولين في العدالة. وقالت لي إن كثيرا ممن يتولون في الظاهر التجارة الكبرى والتعاملات ليسوا سوى مسخرين لأشخاص آخرين ذوي نفوذ يديرون كل شيء عن بعد"²⁰.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لأشكال الأيديولوجيا في رواية "الموت في وهران" يمكن أن نخرج بنتائج من أبرزها:

- بالنسبة لمفهوم الأيديولوجيا إصطلاحا، لا يمكن حصره في جانب ما، إذ لا يوجد تعريف متفق عليه لدى الفلاسفة والمفكرين وعلماء السياسة وعلماء الاجتماع للإيديولوجيا، بل توجد تعاريف مختلفة باختلاف المجالات المعرفية، ومعناها يتغير من مجال معرفي إلى مجال معرفي آخر، من الفلسفة إلى علم النفس إلى علم الاجتماع إلى علم السياسة إلى غير ذلك من التخصصات الواسعة أو الضيقة التي تناولت موضوع الإيديولوجيا بالبحث والدراسة، ويكون هذا التعريف تابعا للسياقات التاريخية التي عرفها الفكر عند الانسانوعرفت حياتته.

- إذا نظرنا إلى الإيديولوجيا بوصفها ظاهرة اجتماعية مبنية على الزيف والأوهام الزائفة وعلى الاختلاف مع إيديولوجيات أخرى، أمكن القول أن المجتمعات المختلفة تمتلك هويات مختلفة، وأنه ليس بالإمكان إفتراض ثقافة واحدة للإنسانية، فكما توجد ثقافات متعددة فإن الإيديولوجيا متعددة، ومن هنا يتحقق القول بأن الإيديولوجيا ليست ثابتة في جميع تفاصيلها، فهي عرضة للانتقال والتغير مع تغيرات الحياة الواقعية، وبالتالي فهي تتبدل تبعا للمتغيرات والظروف التي تفرض نفسها على منظومات القوة والهيمنة ومعايير الزمن.

- يرى الفكر الماركسي بأن الهيمنة الطبقية يجب أن تتأسس على أدوات السيطرة الفكرية كي تتمكن الطبقة المهيمنة من إعادة إنتاج شروط إنتاجها، أي أيديولوجيتها ونظرتها للحياة، فالإيديولوجيا إذن بحسب ماركس وعي الطبقة المسيطرة على الواقع وتصورها لهذا الواقع تبعا لمصالحها وموقعها الاجتماعي.

- المجتمع في حراك دائم، ولا يمكن بحال أن تتوفر له صفة الثبات على نمط معين والحراك المجتمعي بلازمه بالضرورة حراك في أنماط العلاقات المجتمعية ما ينعكس على المنظومة القيمية بأسرها.

- تمكن الحبيب السائح من خلال الرواية من تعرية الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر، بداية من نهاية سبعينيات القرن الماضي وما حصل فيها من مؤشرات تدل على تحول السياسة المحلية وما تولد عن ذلك من فوضى وتصدعات وأزمات خطيرة، أثرت سلبا على حياة الشعب الجزائري في فترة التسعينيات ومطلع الألفية الثالثة، حيث دارت حكايتها حول وهم الديمقراطية الزائفة وما انجر عنها من نتائج كارثية، بفعل التعنت والتشبث بالمناصب الحساسة من طرف النموذج البراغماتي خوفا من ضياع مصالحه، وبفعل سعي الأطراف المعارضة إلى تنحية النموذج الأول وإيجاد مكان لهم في الحقل السياسي.

- شخصيات الرواية منتقاة بدقة من الواقع الاجتماعي حملت مختلف أشكال الصراع الإيديولوجي، من رأسماليين لا تهمهم سوى مصالحهم ومن فئة اشتراكية تسعى إلى الاعلاء من قيمها الداعية إلى المساواة وتجسيد العدالة الاجتماعية، من خلال توزيع خيرات الوطن على الجميع، إلى الاتجاه الديني الذي بدت شخصياته خطيرة للغاية حيث جنحت إلى سفك دماء أبناء الشعب وبث الرعب لتحقيق مطامحها، وهو ما تجلى مع شخصية معمر الصفصاف، وقد حاولت هذه الأطراف المتصارعة كسب بعض المشروعية من خلال اتكائها على بعض المرجعيات والروافد.

- أدت الاسترجاعات وظيفية فنية وحملت جماليات متعددة، ساهمت في تكسير خطية الزمن وبناء بعض الشخصيات وكذا الأحداث كما أدت وظيفية دلالية، لعل أبرزها الدلالة الإيديولوجية، حيث جعل الماضي زمن الاشتراكية مليء بالرخاء، وجعل الحاضر

مليء بالصراعات والبؤس والفقر والبطالة، وقد نتج عن هذا الفارق صراع بين شخصيات حملت مختلف التوجهات الايدولوجية.

- تجلت رؤية الحبيب السايح الرافضة لجزائر اليوم ورغبته في جزائر الماضي، من خلال رصد الرواية زمن مدينة وهران بشكل خاص والوطن بشكل عام بين الماضي والحاضر، حيث ساهمت هذه الثنائية الضدية في رسم صورة المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الوهراني خاصة كما أظهرت التحول الجديد في المجتمع الجزائري على جميع الأصعدة، حيث تلبس الناس بثقافة جديدة ولدت التفسخ والعنف والحقد في نظره، حيث أولى أهمية قصوى للزمن التاريخي على حساب الزمن الإجتماعي، فالتاريخ يؤدي وظيفة مهمة في أعماله، لعل أبرزها الكشف عن جودة أو رداءة فترة تاريخية معينة انطلاقا من إيجديولوجيته.

- يرى علماء الاجتماع أن ما هو صحيح ومتحقق تاريخيا، هو أن في مواجهة الأزمات ومع المحطات التاريخية الصعبة التي تواجه المجتمعات، تبرز حاجة هذه الأخيرة إلى تأكيد ذاتها أو مراجعة انتماءها، ومن الطبيعي أن تتمحور هذه الجهود حول المشتركات التي توحد المجتمع وتبني هويته الخاصة، وتؤكد الحقيقة الواقعية أن ما حصل في الجزائر من عنف وتقتيل ومشهد قاتم على جميع الأصعدة خلال فترة التسعينيات من القرن الماضي، أن الاستبداد السياسي في ممارسة الحكم، والنزعات الطائفية، والجري وراء المصالح الفردية، على حساب المصلحة المجتمعية هي نماذج للأدوات التي تقطع أوصال المجتمع الواحد وتهوي به في مكان سحيق.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1 عيلان عمر، الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة دراسة سوسيو بنائية، الفضاء الحر، الجزائر، (دط) 2008، ص 12.
- 2 سوسان إلياس، السرد وهوية الذات عند بول ريكور، مجلة جامعة دمشق، المجلد 38، العدد الأول، ص 2022.
- 3 عبد الله عبد الوهاب محمد الأنصاري، الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الفلسفة، جامعة الإسكندرية، مصر، سنة 2000، ص 37.
- 4 ينظر، عبد الله عبد الوهاب محمد الأنصاري، المرجع السابق، ص 39-40.

- 5 ينظر، العروي عبد الله، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط8، 2012، ص 13.
- 6 بلحسن عمار، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد 5، العدد 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، صيف/خريف 1985، ص76.
- 7 مجدي وهبة، أية أيديولوجيا؟، فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد 5، العدد 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، صيف/خريف 1985، ص 34.
- 8 لحميداني حميد، النقد الروائي والأيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1990، ص 28.
- 9 لحميداني حميد، من أجل تحليل سوسيو بنائي للرواية (رواية المعلم علي نموذجاً)، منشورات الجامعة، المغرب، 1984، ص 17.
- 10 لحميداني حميد، المرجع السابق، ص 33.
- 11 عباس إبراهيم، الرواية المغاربية، تشكيل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005، ص57.
- 12 ابن منظور، لسان العرب (مج15)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1992، ص168.
- 13 الحبيب السائح، الموت في وهران، دار العين، القاهرة، ط1، 2014، ص 130.
- 14 المصدر نفسه، ص 146-147.
- 15 الرواية، ص136.
- 16 المصدر نفسه، 154.
- 17 زعموش عمار، إشكالية الواقعية في النقد العربي المعاصر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف واسيني الأعرج، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر 1989/1990، ص 175.
- 18 الموت في وهران، ص 26.
- 19 المصدر نفسه، ص 59.
- 20 الرواية، ص61.